علم الغيب

<"xml encoding="UTF-8?>

ان ارتباط الأئمة الأطهار بعالم الغيب لا يعني انّهم يحيطون ذاتيا بهذا العالم اللامتناهي من المغيبات انّهم و في كلّ الأحوال يستمدون علمهم من الذات الأحدية، و المحدود كما يقال لا يحيط بالمطلق، و مادام الامام محتاجاً في وجودة فهو في علمه محتاج.

وميزتهم الوحيدة في هذا المضمار انّهم يستطيعون الاستفادة من طاقة باطنية فتنفتح لهم نافذة على عالم الغيب، و كل هذا فيض من عالم الغيب و الشهادة الله رب العالمين. فقد يحدّث ان يقذف في قلوبهم أو ينقر في أسماعهم أو هو علم ورثوه عن جدّهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) وهذه أحاديث تؤيد ذلک:

عن عمار الساباطي قال: سألت أباعبدالله (عليه السلام) عن الامام يعلم الغيب؟ فقال: لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلک1.

عن آبي الربيع الشامي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ان الامام اذا شاء أن يعلم أعلم2.

وعن المدائنيي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا أراد الامام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلک3.

وعن معمربن خلاد قال: سأل رجل من أهل فارس أباالحسن (عليه السلام) فقال: أتعلمون الغيب؟فقال: قال أبوجعفر (عليه السلام): يبسط لنا العلم فنعلم و يقبض عنّا فلا نعلم، قال: سرالله عزوجل اسره الي جبرئيل و أسره جبرئيل الي محمّد (صلى الله عليه و آله وسلم) الي من شاء الله4.

وسأل أحدهم أميرالمؤمنين (عليه السلام): لقد أعطيت ياأميرالمؤمنين علم الغيب؟ فضحک و قال للرجل و كان كلبياً: يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب و انّما تعلم من ذي علم و اما الغيب علم الساعة و ما عدّد الله بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾ 5 فيعلم سبحانه مافي الأرحام من ذكر و انثي و قبيح أو جميل و سخي أوبخيل و شقي أو سعيد، و من يكون في النارحطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلّا الله و ماسوي ذلک فعلم علّمه الله نبيه فعلّمنيه و دعالي بأن يعيه صدري و تضطم عليه جوانحي6.

و عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ 7 قال أبوجعفر(عليه السلام) ان الله عزوجل ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غيرمثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين و لم يكن قبلهن سماوات و لاأرضون. أماتسمع لقوله تعالي: ﴿ ... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ... ﴾

8 فقال له حمران: أرأيت قوله جل ذكره ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ 9 فقال أبوجعفر (عليه السلام): ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ... ﴾ 10 وكان و الله محمّد (صلى الله عليه و آله وسلم) ممن ارتضاه، و اما قوله عالم الغيب فإن الله عزوجل عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلفه و قبل أن يفضيه إلي الملائكة فذلک يا حمران علم موقوف عندالله فيه المشيئة إذا أراد و يبدوله فيه فلا يمضيه. فاما العلم الذي يقدّره الله فيقضيه و يمضيه فهو العلم الذي انتهي الي رسول الله ثم الينا11.

وهناک طائفة اخري من الأحاديث التي تؤكدان الأئمة لايعلمون الغيب بالذات مستقلين ولكن نوافذ تنفتح عليهم بفيض إلهي.

الأئمة ينفون علمهم بالغيب

وتأتي هذه الأحاديث كقرائن على ان ما يخبرون به انما هو مغيبات كشفت لهم لا أنّهم يعلمون الغيب بشكل مطلق و هذه أمثلة:

عن ابن المغيرة قال: كنت عند آبي الحسن (عليه السلام) أنا ويحيي بن عبدالله بن الحسين فقال يحيي: جعلّة فداک انّهم يزعمون انّک تعليم الغيب، فقال: سبحان الله ضع يدک على رأسي فوالله ما بقيت في جسدي شعرة و لا في رأسي إلّا قامت، ثم قال لا والله ما هي إلّا رواية عن رسول الله12.

عن أبي بصيرقال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) انهم يقولون؛قال:

وما يقولون؟ قلت: يقولون: يعلم قطرالمطر و عدد النجوم و ورق الشجر و وزن ما في البحر و عدد التراب فرفع يديه الي السماء وقال: سبحان الله سبحان الله لا و الله ما يعلم هذا إلّا الله13.

عن عنبسة بن مصعب قال: قال لي أبوعبدالله (عليه السلام): أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعته يقول: انک وضعت يدک على صدره و قلت له: عه و لاتنس ! وانک تعلم الغيب و انّک قلت له عيبة علمنا وموضع سرّنا أمين على أحيائنا و أمواتنا.

قال: لا والله مامسّ شيء من جسدي إلّا يده، و اما قوله: اني قلت: أعلم الغيب فوالله الذي لاإله إلا هو ما أعلم فلا آجرني الله في أمواتي و لا بارک لي في أحيائي إن كنت قلت له14.

عن سديرقال: كنت أنا و أبوبصير و يحيي البزاز و داودبن كثير في مجلس أبي عبدالله (عليه السلام) إذا خرج الينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون انّا نعلم الغيب، مايعلم الغيب إلاالله عزوجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني فما عملت في أي بيوت الدار هي. قال سدير: فلما ان قام من مجلسه و صارفي منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداک سمعناک و أنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتک و نحن نعلم انّک تعلم علماً كثيراً و لاننسبک الي علم الغيب، قال: فقال: ياسدير: ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلي، قال: فهل وجدت فيما قرآت من كتاب الله عزوجل: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ

طَرْفُكَ ... ﴾ 15 قال: قلت:

جعلّة فداک قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلک علم الكتاب؟! قال: قلت جعلّة فداک ما أقلّ هذا فقال: ياسدير: ما أكثر هذا، ان ينسته الله عزوجل الي العلم الذي أخبرک به يا سدير، فهل و جدت فيها قرأت من كتاب الله عزوجل ﴿ ... قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ 16 قال: قلت: قد قرأته جعلّة فداک قال: أفمن عنده علم الكتاب كله ألهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأومأ بيده الي صدره، و قال: علم الكتاب و الله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا1.

ومن مجموع هذه الأحاديث يتأكّد لنا ان الأئمة لا يعلمون الغيب مطلقاً و هم في كل الأحوال انعكاس للفيض الإلهي إذا شاء واعلموا، و في كلّ الأحوال فإن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ربما كانوا يخبرون عن ضمائر الناس، أو يخبرون عن حوادث قبل وقوعها ولا يعد ذلک علماً بالغيب بل هو لطف من الله عزوجل كما لا يعدّ شرطاً من شروط الإمامة والإمام.

لأن العلم بالغيب يتطلب اطلاعاً كاملا و مطلقاً على عالم الغيب دون الحاجة الي أحدوهذا ماتبرأ منه الأئمة (عليهم السلام).

إشكال

لقد كان سيّدنا محمّد (صلى الله عليه و آله و سلم) والأئمة من بعده يعيشون حياة طبيعية وعادية كسائر الناس في اسلوب معيشتهم و معاشرتهم مع غيرهم ويتعاملون مع ما حولهم بناء على الظواهر، و يستشيرون أهل الخبرة في بعض شؤونهم الاجتماعية و براجعون الاطباء وقت المرض، و لهذا نجد عند مطالعتنا سيرتهم انهم يعيشون حياة عادية مثل سائر الناس و لس هناک بعد غيبي خارق للعادة يتدخل في شؤونهم الاجتماعية. وهذا تاريخ الإسلام شاهد على ما ألم بهم من كوارث و مصائب. فهناک معركة أحد وقد جرح النبي بشدّة، و اغتيل الامام على في المحراب، و مذبحة كربلاء حيث لقي الحسين وأهل بيته مصارعهم. ناهيک عن التصفيات التي تعرض لها الأئمة عن طريق دس السمّ التي شملت أغلبهم (سلام الله عليهم)، أليس في هذا ما يتنافي مع عليهم الغيب. فلو كانوا يعلمون الغيب حقاً فكيف يلقون بأنفسهم في التهلكة.

الجواب

ان أحدلم يدع أبداً ان سيّدنا محمّدا و الأئمة من أهل بيته لم يكونوا بشراً عاديين، فهم من الجانب التكويني بشر كسائر الناس يتصلون بالعالم من حولهم بذات الحواس الخمس التي يتمتع بها غيرهم، و ما داموا يعيشون حياتهم بشكل عادي فما هوالداعي لأن يستفيدوا من عالم الغيب. غيران الحياة بما تزخربه من أشياء متناقضة

حيث الحرام يتربّص بالإنسان في كل خطوة، و قد برتكب المرء فعلاً قبيحاً عن جهل، و أمر كهذا سيوجّه ضربة لمقام الامامة مهما كانت الظروف، و من هنا يأتي التسديد الإلهي ليعصم الامام من الوقوع في الخطاء.

وهناك من المواقف ما يستدعي لاثبات إمامة الإمام لمن يشک فيه كما نري ذلک في حياة الأنبياء (عليهم السلام).

ثم ان علم الغيب و الأطّلاع على بعض المغيبات لن يغير من سير الحوادث.

انه مجرد نافذة على جزء من عالم لامنتاهي، و تبقي إرادة الإنسان هي الفاعلّة في صنع الحوادث، كما ان الإخبار بالمعيبات لا ينطوي على أي جانب تشريعي سواء في الأمر والنهي.

نعم ربما يطلع الامام على محاولة لاغتياله بالسم عم طريق دسّه في الطعام فيمتنع مثلاًعن تناوله ليأخذ موقفه هذا شكل الاعجاز الخارق للعادة ويكون بالتالي دالة على مصداقية الامام لا أكثر.

الامام و سائر العلوم

لقد بحثنا فيما مضي ان الامام يجب أن يكون عالماً بأمورالدين و بكلّ ما يلزم من شؤون القيادة و الريادة و زعامة الأُمّة، و نبحث هنا مدي اطّلاع الامام على سائرالعلوم الاخري، و هل من الضرورة أن يكون الامام القمة فيها؟

يقول فريق ان الامام ينبغي أن يكون عالماً بكلّ شيء سواء في الطب أو علم الأحياء والجيولوجيا والهندسة و الرياضيات و الفلک و الفيزياء والكيمياء وسائرحقول العلم الاخري بل و أن يكون متقناً لسائراللغات. فيما يقول فريق آخر انّه ليس من الضروري أن يكون الامام كذلک.

ان من الثابت فقط هو ان الأئمة خزّان علم الله و حملة علوم الرسالة و هو أمرضروري في استمرار الدين و مسؤولية إقامة حكم الله، فكل ما يتصل بإرشاد الناس و هدايتهم الي جادّة الحق متوفر لدي الامام و إلّا انتقت طاعته و بالتالي انتقاء الحجّة الله على الناس؛ وما عدا هذا فلم يثبت؛ إذ ليس من الضروري أن يكون الامام طبيباً أومهندساً أورياضياًأو غير ذلک.

نعم لوتوقف اثبات إمامة الامام على أحدها أوجميعها فستفتح على قلبه نافذة من الغيب ما يجعل الناس يسلّمون بإمامته و مصداعقيته.

ومن هنا نجدفي التاريخ أخباراً عن الأئمة حول صفات بعض النباتات و ظواهر في السماء، لأن الامام في كل الأحوال على ارتباط بعالم الغيب و هو انعكاس للفيض الإلهي، و في مقابل هذا نجد الأئمة يراجعون الأطباء في بعض الأحيان، كما نري ذلک جلياً في حادثة اغتيال الامام علي (ع) حيث أشارالطيب على الامام بعد اجراء الفحوصات بأن يوصي لأن الضربة بلغت مقتلاً1718.

---

1. a. b . اصول الكافي: ج1ص257.
2. المصدر السابق: ص258.
3. المصدر السابق.
4. المصدر السابق: ص256.
5. القران الكريم: سورة لقمان (31)، الآية: 34، الصفحة: 414.
6. نهج البلاغة، الخطبة124.
7. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 117، الصفحة: 18.
8. القران الكريم: سورة هود (11)، الآية: 7، الصفحة: 222.
9. القران الكريم: سورة الجن (72)، الآية: 26، الصفحة: 573.
10. القران الكريم: سورة الجن (72)، الآية: 27، الصفحة: 573.
11. اصول الكافي: ج1ص256.
12. بحار الأنوار: ج25ص293.
13. المصدر السابق: ص94.
14. المصدر السابق: ص321.
15. القران الكريم: سورة النمل (27)، الآية: 40، الصفحة: 380.
16. القران الكريم: سورة الرعد (13)، الآية: 43، الصفحة: 255.
17. هناک من الحوادث مايؤيد ان حياة النبي و الأئمة تسير في ضوء المعطيات الظاهرية فتأتي مواقفهم بناء على بعض المحاسبات العامة، و من يتأمل في الحوادث التاريخية يجد أدّلة قاطعة على ذلک إلي جانب حشد من الأحاديث أيضاً؛ منذحادثة الافک مروراً ببعض الحروب الهامة الي عزل و نصب بعض القادة و لعل ما نجم عن اسناد قيادة جيش الامام الحسن الي عبيد الله بن العباس الذي تسلل مع ثمانية لآف من الجنود ليلاً الي معسكر معاوية ! مايؤيد ذلک بقوة. وخلاصة القول ان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) والأئمة عليهم السلام يعيشون حياتهم بشكل طبيعي و لكنهم يتصلون بالغيب وقت الضرورات القصوي، و ان علمهم بالغيب ليس ذاتيا و لا مستقلّاً و لا مطلقاً بل هو فيض إلهي من الله رب العالمين.
18. المقالة في الموقع الرسمي لسماحة آيت الله ابراهيم الأميني.